اكليل العار

﴿ لامين الريحاني ﴾

٢

يخسر المرء نصف ثروته في الاشغال او في القمار ولا يأسف · ويبذل الكثير في سبيل ملذاته او في ضيافة اصحابه مسروراً · ولكنه اذا اضاع ريالاً واحداً يقوم له ويقعد ويظل اياماً حائراً بائراً لا يحسن عملاً

اما توفيق زيدون فلم يكن ليحسن عملاً ما في اية حال من الاحوال الاّ اذا استثنينا القمار · وقد طالما خسر آخر فلس في اللعب وهو مالك نفسه ؛ صابر عَلَى تمرد حظه · ولكن خسين ريالاً التقطها في غرفة حبيبته بل سرقها ثم اضاعها بلبلت باله وشتت ما بقي من آماله

عاد الى غرفته كالمجنون يفتش زواياها علّ المال سقط من جيبه وهو ينزع او يلبس ثيابه · وهذا معقول · ولكن في المعقول ظناً يخطأ احياناً · ثم فتش في جيوب اثوابه المعلقة في الخزانة كأن يداً سرية سحرية نقلت المال اليها · ثم فتش في دروج خزانة اخرى وهو لم يزل متمسكاً بخيط من الامل رفيع انقطع عند الدرج الاخير الذي لم يكن فيه غير مسدس محشو

اخذ المسدس يديره بين يديه ووضعه امامه عَلَى الطاولة · ثم جلس عَلَى كرسي يتأمل الماضي والحاضر من حاله · عشر سنوات قضاها في اميركا

ولم ينجح فيها بعمل واحد مارسه · شارك اخاه في التجارة فصرف فوق حصته في دوائر القمار والخلاعة وانفصل عنه · وهو يكره اخاه كرهاً شديداً · بل البغض متبادل متساوٍ بين الاخوين · واخته سليمه التي تبيع البضاعة الشرقية في المصايف طالما مدته بالمال · عَلَى انها اعترضته يوماً في امر فتاة ولع بها فأغلظ لها الكلام وطردها من بيته · اما اصحابه بل رفاقه في اللعب فهو مديون لاكثرهم ولم تعد له الجرأة ان يسألهم حاجة · والحق يقال انهم ابواب الفرج اقفلت كلها في وجه زيدون الا باباً واحداً طرقه ليلة أمس · ولولا الصدفة لعاد من بيت لوسيل كما خرج من بيت القمار · ولكن الصدف مثل الدهر متقلبة خائنة · ولم تكد تريه باب الفرج حتى اقفلته في وجهه · اعطته خمسين ريالاً في آخر الليل وسلبته المال في الصباح ·

الصدف ؟ انما هي يد القضاء · دخل توفيق زيدون نفسه يجدد النظر في تذكارات فيها مثلما يعود العاشق الولهان الى رسائل فتاة ولاّعة متمنعة يقرأها ويمزقها · مزّق تذكارات اخيه غير آسف عليها · مزّق تذكارات اخته · مزّق تذكارات ألعابه وخلاعاته · محاها كلها من لوح نفسه الاسود العتيق · ولكن ذكراً من ابويه استرعاه فوقف عنده واليد منه ترتجف · فقد اوصته امه قبل سفره الى اميركا ألاّ يقترب من طاولة القمار · وقد طالما قال ابوه · المال الحرام لا يثمر · ذلك لان داء القمار كان متفشياً في آل زيدون في الوطن · ولكن توفيقاً لم يكترث بوصية والديه · وما فكر فيها اسفاً حزيناً قبل هذه الساعة

القمار ! والموبقات التي هو فيها من جراء القمار · وتلك الفتاة المسكينة التي كانت تبيع جسدها لاصحابه وتقاسمه كسبها لله منها · أتوفيق زيدون يصل الى هذا الحد من السفالة ؟ لم يكن قبل اليوم ليفكر بحقيقة فعلته ولولا خسائره في القمار لما التجأ والحق يقال الى لوسيل ·ولكنه افاق في هذه الساعة من سكرته · نفر من ضلالاته · وود ان يبتعد من الموبقات التي طالما خاضها طرباً حبوراً · انفتحت فيه فجأة عين الروح فباله من ذلك امره · رأى نفسه ابناً عقوقاً · رأى نفسه سافلاً · يا للفضيحة ويا للعار !

جلس عَلَى الكرسي وأخذ المسدس يديره بين يديه · وبين هو يداعب الموت — يراود رصاصة فيها الخلاص مما هو فيه دق عَلَى بابه دقات سريعة شديدة فوضع المسدس عَلَى الطاولة وراح يفتح الباب فاذا بلوسيل والاضطراب باد في عينيها ·

اخذته من روعته الدهشة بل احس بقشعريرة في جسده كأن كأس ماء باردة سكبت عَلَى نفسه الملتهبة · فاطفأت فيها نزعة الانتحار · وردته الى حاله كسيد الفتاة وولي امرها · اما لوسيل فلم تمهله ان يسألها الغرض من مجيئها · دخلت غرفته تقول

— انت لص · انت مجرم · وقبل ان اشكوك الى البوليس جئت اعطيك فرصة لتخلص نفسك · كذبت الليلة البارحة · فقوصصت عَلَى كذبي · خبأت ما كان لدي من المال فتلصصتني وسرقت · لم يزرني احد سواك بعد ليلة البارحة · نعم انت السارق مالي واذا كنت لا تعيده الي الآن

اشكوك الى البوليس ·

— انتِ مجنونة ·

— لا يهمني · اسألك ان تعيد اليّ مالي والا —

— اجئتِ تهددينني في بيتي ؟ والله ابشر دماغك اذا كنت لا ترعوي · واقترب اذ ذاك من الطاولة يمد يده الى المسدس · فخافت لوسيل وغيرت لهجتها ·

— يا عزيزي توفيق انا في حاجة الان الى المال اكثر منك · قد رهنت في الشهر الماضي خاتماً هو اعز الاعلاق لديّ · هو هدية من امي يوم ميلادي — آخر ميلاد قضيته واياها · واحب ان استرجعه · فاني منذ رهنته والنحس مكتنفني · فاشفق عليّ واكتفِ بما سلفتك من الحب

اخذت منديلاً تمسح الدموع المتساقطة على وجنتيها الورديتين ثم قالت

— مذ عرفتك حتى الان لم اسألك ريالاً واحداً ، بل انت مديون ليْ

— يا بنت الخنا ، جئتِ تهينيني في بيتي ! والله —

— لا · لا · لا احب ان اذكرك بذلك · ولو كنت تستطيع القيام بمعاشي لما ملت الى احد سواك ، بل لما قبلت في بيتي شيرك من الناس · والان جئت ارجوك ان تعيد اليّ ما اخذته مني الليلة البارحة · هب اني اسألك قرضاً في ساعة ضيقتي ، فاني لم ادفع اجرة منزلي منذ شهرين ، اقسم بالله ، وصاحب البيت يهددني بالطرد · فاذا كنت لا ترثي لحالي ، ما معنى صداقتك ، بل حبك ؟ اخذت مني خمسين ريالاً · اعد اليّ نصف القيمة في الاقل

— اعلمي اني لم آخذ منك ريالاً واحداً · واذا عدت الى هذه التهمة ابعثر دماغك برصاصة من هذا المسدس · واذا كان هذا قصدك من زيارتي فتفضلي —

واوماً بيده الى الباب ،

— يجب ان ادفع أجرة غرفتي

— صاحب البيت ينتظر ·

— يجب ان اشتري فسطاناً لامي ·

— لست موكلاً بأمر أمك

— أتطردني اذاً من بيتك

— اشكري ربك اذا خرجت سالمة · انت اول من اتهمني بالسرقة وقد عفوت عنك · اخرجي — ولا تريني وجهك فيما بعد

اقتربت لوسيل من الطاولة وفي نيتها ان تقبض عَلَى المسدس اتقاءً للشر فكان توفيق اسرع منها ، فقبض عَلَى يدها بيمناه ولطمها بالاخرى لطمة عَلَى وجهها ·

— يا بنت الخنا ، تحاولين قتلي ايضاً

— تسلبني مالي وتهينني وتضربني وتطردني من بيتك — ستندم ، ياتوفيق زيدون ، عَلَى فعلاتك هذه — ستندم يا لص — يا وحش — يا ···

وخرجت من غرفته مسرعة ·

ناداها توفيق — فتح الباب وسألها ان تعود فلم تجبه · لبس قبعته وتبعها ،

ولكنه لم يرها في الشارع · راح الى بيتها فوجد الباب مقفلاً — فبات ينتظر امام الباب علها تعود فخاب أمله فعاد الى غرفته يائساً ، وقد أخذه شيء من الندم عَلَى ما فعل ·

حدثته نفسه ثانية بالانتحار · فكتب كلمة الى اخته يودعها ويستغفرها ، وأخذ المسدس قائلاً — عَلَى الدنيا السلام ، ولكنه حين رفع آلة الموت الى رأسه متردداً دقّ جرس التلفون · فوضع المسدس ، وفي نفسه بعض الارتياح الى صدفة اوقفته مرة ثانية عن قصده ، وراح يجيب النداء

الصوت صوت لوسيل

— ماذا تريدين ؟

— ندمت عَلَى ما بدا مني · اغفر لي — وتعال الليلة تسمع ما يسرك

— ماذا جرى ·

— ساخبرك عندما تحضر ·

أخذه العجب من أمرها · هل تكمن له الشر ؟ هل تدعوه لتغدر به ؟ أو هل هي صادقة في ما تقول ؟ ان كان الاول ، فتوفيق زبدون لا يخشى تهديد فتاة أو غدرها ، وان كان الثاني ، فقد يكون له في شدته سبيل الى الفرج · ثم عاد الى نفسه يوبخها عَلَى ما فعل · ندم ندامة حقيقية عَلَى معاملته لوسيل تلك المعاملة · فقال يحدث نفسه

— خلصتني من الموت مرتين ، فينبغي أن أحسن في الاقل معاملتها ·

ولكنه تبادر ما قد يحدث ، فراح يقابلها تلك الليلة والمسدس في جيبه

« البقية في العدد القادم »

الحكيم والسلحفاة

كان الحكيم الصيني تشوانغ شو منهمكاً ذات يوماً بصيد السمك عَلَى شاطئ البحيرة ، واذا بعظيمين من اشراف المملكة قد مثلا امامه مرسلين من قبل أمير « تشو» ليقنعاه ان يتولى تدبير شؤون المملكة ·

فتابع الحكيم صيده دون ان يلتفت اليهما وقال

— بلغني ان في « تشو » سلحفاة مقدسة ماتت منذ ثلاثة الاف سنة ، وهي موضوعة بأمر الامير في صندوق من ذهب عَلَى مذبح هيكل اجداده · فهلا اجبتماني عَلَى هذا السؤال — أتختار هذه السلحفاة لو خيرت يا ترى ، ان تكون في قيد الحياة تحرك ذنبها في الوحل أو ان تكون ميتة وبقاياها مقدسة مكرمة عَلَى المذبح الملوكي ؟

فاجابه العظيمان

— لا شك انها كانت تختار ان تكون حية تحرك ذنبها في الوحل ·

فقال لهما الحكيم

— اذهبا بسلام · فاني كالسلحفاة أختار أن احرك ذنبي في الوحل